



يعرض هذا الكتاب صورة قوامها الوثائق التي أُذيعت الى الآن .
وليس شك في أن المجموعة الذي نشرتها وزارة الخارجية الألمانية من
محفوظاتها مضمونة « السياسة العليا للوزارات الأوربية بين ١٨٧١ و ١٩١٤ »
ومحتوية وثائقها الدبلوماسية الخاصة بتلك المدة هي أهم المصادر التي يرجع
اليها جميعاً وأعظمها شأنًا . وقد ختمت أخيراً هذه المجموعة التي هي بلا ريب
عمل تاريخي ضخم لم يسم بلداً من البلدان الى اليوم أن يأتي بمثله . ذلك أن
ما أُذيع من محتويات دار المحفوظات الروسية وإن كان واسع النطاق بالقياس
الى غيره ، ليس بالنسبة الى تلك المجموعة سوى مقدمات ومقتطفات لا تتناول
الا اقتراحات وجيزة من تاريخ ما قبل الحرب . وما نشره ايزفولسكي لا يعدنا
الا لنظرة في السنوات الأخيرة التي سبقت وقوع الكارثة . وقد ألف
سيميرت كتاباً أسماه « الوثائق الدبلوماسية عن تاريخ سياسة دول الوفاق »
ترك في العصر الذي ترجع اليه تلك الوثائق نقطاً كثيرة لم يتناولها . ثم جاء
ما نشره الفرنسيون ناقصاً كل النقص ، وما فعله الانجليز لم يتجاوز وعداً
بنشر مجموعة من الوثائق كان يجب أن تظهر أجزاؤها الأولى عقب ذلك .
على أنه مما يسد بعض الشيء ذلك النقص الحادث هو تلك المذكرات التي
نشرها كبار الساسة في الأزمنة التي عاشوها ولا سيما ما اشتمل منها على
وثائق قيمة عن مختلف المناسبات . أما الكتب المديدة ذات الصبغة التصويرية

المحضة فلم يكن ذكرها مستطاعاً الا في الاحوال النادرة جداً لان مرجعها في آخر الامر هو الى نفس المصادر التي استقينا منها بيان ما نحن بصدده ولقد كانت أكبر مهمة فرض علينا أدائها هي ان نعلم الى تلك الوفرة المربكة من التفاصيل والدقائق فنستخلص منها صورة واضحة ما أمكن لاهم الخطط التي نشأ عنها التطور ، وكان لازماً لتحقيق هذا الغرض أن نغنى بأكثر الحوادث شأنًا وأفعالها أثرًا في سير الامور فنثبتها ، وأن نمر كرامًا بالمسائل الثانوية نغفلها احيانًا اغفالاً تاماً . فما كان من الممكن وما ينبغي ان يحصى كتيب كل ما طواه الماضي ويقتل كل شيء بجناً . وما دام امر هو القول الفصل فأحرى بالمرء أن يجترىء به . لذلك كان هنما قبل كل شيء وفي وصف الايام العصيبة التي سبقت نشوب الحرب مباشرة - والتي بات بأيدينا اليوم عن مجراها طائفة من التحقيقات الخاصة القيمة - نقول كان هنما في وصف تلك الايام ايضاً ان نستخلص وجهات النظر العامة كما نرى كيف كان الى اللحظة الاخيرة فعل الاحداث الكبرى التي كونت التطور

البحث وراء الماضي القريب واكتناه اموره أصبح ضرورة لازمة للشعب الالماني . فما كان عود الطمأنينة الى النفوس واستقرار الأذهان ليبدأ باستنكاف البحث فيما كان أو بتمجيد الهناء الضائع تمجيداً أسمى . فانه ليجب أن نجابه الامس صادق العزم قاسين على أنفسنا . ذلك ان هذا الامس - أردنا أو لم نرد - هو الذي يصدر عنه اليوم والغد ، فاذا كنا نبغى السير الى الامام فانا بحاجة الى أن يظهر لنا هذا الماضي واضحاً . ولقد تعمداً في الصورة التي نعرضها على القاريء أن نغفل الاجابة عن السؤال المعروف عن تبعة الحرب العالمية . فان من واجب المؤرخ أن يتحرى عن قوانين التطور في حياة الشعوب ويكشف عنها ، فهو يتجنب أن يصدر حكماً أدبياً لاقتناعه بان كل حادث قد دفعه الى الوقوع ضرورة كامنة فيه . وليس سوى السياسيين

الذين يرمون الى غرض سياسي ظاهر من يستطيع أن يلقى عبء المسؤولية الأديبة عن الحرب على دولة أو دول هي ألمانيا وحلفاؤها . ومسلك كهذا قائم على أن الخصم المغلوب قد أرغم بالقوة على الاعتراف بذنبه المزعوم لا دخل له بطبيعة الحال بالبحث وراء الحقيقة أو تقريرها . والذي يهم المؤرخ المنصف هو فقط الاعراب عن روح العصر - ذلك الروح الذي لا شأن له - الا في النادر - بالفكرة التي يحاول المؤرخ أن يقررها في عمله وهي « الاخلاق » .

برلين في : نوفمبر ١٩٢٦

فريدريك ستيفه

